الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت – تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

*

الادارة

شارع سوريا – راس الخندق الغميق – بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة

اولت « الاداب » و «دار الاداب » ، منذ نشأتهما ، الكاتب الفرنسي جان بول سارتر اهتماما كبيرا تجلى في ترجمة أهم مؤلفاته ، ونشر دراسات مستفيضة عنه ، والعناية بالحديث عن مواقفه المختلفة .

ولم يكن مصدر هذه العناية وذلك الاهتمام الا الايمان بان هذا المفكر الكبير هو اعظم المفكرين الاحرار في هذا القرن العشرين . وان دفاعه الصادق عن قضايا الحرية في العالم ، ولا سيما قضية استقلال الجزائر ، جدير به ان يفوز بكل حبنا واعجابنا . وانه لكسب لنا ، نحن العرب ، ان يتجند اكبر مفكر حر في عصرنا للدفاع عن قضيتنا في الجزائر ، كما انه كسب للبشرية كلها ان يضع سارتر كل عبقريته واخلاصه في خدمة الحرية ، والدفاع عن حقوق المضطهدين ، وفضح اساليب الاستعمار ، بشكليه القديم والجديد .

على ان ما يزيد اهمية سارتر في نظرنا ، هو ان مواقفه هذه صادرة عن نظام فلسفي متكامل استطاع ان يجعل منه واحدا من اكبر الفلاسفة المحدثين .

نحن وسارتر

بقلم الدكتور سهيل ادريس

ولا ريب عندنا في ان اقبال القراء العرب على مطالعة اثار سارتر يترجم خير ترجمة عما وجدوا في مؤلفاته من زاد وغذاء ضروريين لهم في سعيهم لخلق حضارتهم الجديدة وتحقيق شخصيتهم المستقلة .

لقد كان الادب الوجودي الذي يمثله سارتر افضل تمثيل يعبر تعبيرا عميقا عما عاناه الجيل الفرنسي منذ كارثة الهزيمة الفرنسية في اثناء الحرب وبعدها . ولعل شيوع هذا الادب في وطننا العربي معزو الى ان الاجيال العربية الجديدة تجد فيه ما يشبه التعبير عما تعانيه منذ كارثة فلسطين . لقد كان من المفروض ان ينشأ لدينا بعد هذه الكارثة ادب يعكس اوضاعنا وهمومنا ويعبر عن اشواقنا لمحو هذه اللطخة من تاريخنا ، ولكن اجيالنا الجديدة حين افتقدت هذا الادب ، الذي ربما كان بوسعنا ان نلتمس لعدم نشوئه بعض التبريرات ، راحت تبحث في الاداب الاجنبية عما يعبر عن قلقها وتمزقها وضياعها ، وآمالها كذلك ، فوجدت هذا كله في الادب الوجودي عامة ، وفي اثار سارتر خاصة .

ان جماع فلسفة سارتر يتجه الى ان الانسان ينبغي ان يكتسب جوهره بالحياة والعمل . فهو ليس شيئا اخر

غير ما يكونه بنفسه ، وهو مطلق الحرية بان يصنع بنفسه ما يريد ان يكونه ، او بالاحرى ما « ينزع » الى ان يكونه . وهكذا تكون غاية هذه الفلسفه ، بكلمة مختصره قد تؤدي الى تشويه غناها الحقيقي ، خلق الانسان خلقا جديدا يقوم على الحرية والمسؤولية .

وليس من شك في ان حاجتنا القصوى ، نحن العرب، في هذه المرحله الدقيقه من تاريخنا ، هي ان نكتسب الحرية ، وان نضطلع بالمسؤوليه .

وهاتان الفكرتان ، الحرية والمسؤولية ، هما قطبا الفلسفة السارتريه كلها . وقد اصيبت هذه الفلسفة بتحريف وتشويه عندما اختطفها جيل من الضائعين في فرنسا اثناء الحرب وبعدها ليجعلوا منها مرتكزهم السلوكي، فاذا هم يقتطعون من قطبيها القطب الاول الذي هو الحرية ليمارسوها وفق امزجتهم واهوائهم ، ويسقطون المسؤوليه التي هي الضابط والرقيب لكل حرية انسانية.

وليس في الفلسفات القديمة والحديثة فلسفة كالوجودية تحفظ للانسان ـ كفرد ـ كل قيمته ، لانها ترتبط هذه القيمة بالعمل الانساني ، والعمل الانساني وحده ، ولا تلقي المسؤولية الا على هذا العمل ، بحيث يكون الفرد هو خالق نفسه اولا واخيرا ، فمنه تنبع كل قيمة ، وفيه تصب .

واذا كان الانسان ، عند سارتر ، بلا جذر ، فلانه هو جذر نفسه ، واذا لم يكن ثمة في الخارج ما يكسبه قيمة ، فلانه هو قيمة نفسه، ولئن كان مترديا ، فلانه حر. ان حركاته لا يمليها عليه لا نظام الهي ، ولا نظام عقلاني يجده في ذاته او في الاشياء ، ورد فعله الاول هو دوار قلق امام هوة حريته : ولكن من هذه الحرية يولد معنى حياته . الحرية : تلك هي الكلمه العظيمه الخصبة التي تتيح لنا ان نواجه الحياة .

وليس من قصد هذه الكلمة ان تستعرض فلسفة سارتر ، ولكن يهمنا هنا ان نرد التهمة الخاطئة التي يحلو للبعض ، ولا سيما عندنا ، ان يلصقوها بهذه الفلسفة حين يدعون انها لا اخلاقية . والواقع ان هؤلاء انما يعتبرون الاخلاق قيما قبلية قائمة وناجزة ، ويقيسون بها كل المواقف . اما سارتر ، فان « اخلاقيته » تريد ان تكون خلقا دائما ، ما دام العالم لا ينى يكشف عن اوضاع جديدة. ليست هناك « حكمة » قائمة ينبغي العودة اليها والحرص عليها ، كما انه ليست هناك قيم عالمية . والحق ان سارتر انما يهاجم هذا « العالمي » ، لانه يؤمن بان ليس ثمة « جوهر » متجمد علينا ان نحترمه ، وانما هناك «وجود» جديد دائما علينا ان نبرره ابدا وبلا انقطاع . ان سارتر هو كاتب عصر ينفصل عن فكرة التقاليد ، ليجعل من الحضارة تجددا ، لا حفاظا للقوانين ومراعاة ، ومن الحياة مغامرة لا نظاما قائما . وهو يريد العمل الاخلاقي ان يكون اختيارا لا مجرد طاعة .

ويهمنا هنا كذلك ان ننبه قارىء سارتر الى ان عليه ان يأخذ آثاره ومؤلفاته كوحدة لا تنفصم عراها اذا شاء ان يفهم فلسفته واتجاهه . اما اذا جزأها ، ووقف عند هذه الاجزاء المتناثرة ، فسيجد فيها كثيرا من المظاهر السلبية التي قد تحمله على الاعتقاد بان سارتر عدمي تشاؤمي . والحق ان آثار الكاتب الوجودي تبدو اشبه بسلسلة تكمل حلقاتها بعضها بعضا . فاهميتها صادرة عن انها تعرض علينا رؤية للعالم والانسان تجمع وتنظم معطيات الضمير المعاصر المتفرقة ، وهي تريد ان تكون توكيدا لموقف : فضح العالم في لوحة لا هوادة فيها لما هو الانسان . ولكن غاية سارتر تتجاوز ذلك : فهو لا يواجهنا بجميع الاسباب التي تدعونا الى اليأس الا لنعرف اذا كنا سنجد فيما وراء ذلك تبريرا للحياة . ان كل بطل سارتري يعيش تجربة حريته ، وليس الابطال السارتريون كائنات تجريدية تعوم في الفضاء ، ولكنهم جميعا متموضعون في واقع دقيق ، تاريخي واجتماعي ونفسي وفكري .غير ان التوضع ليس تحديدا ، وانما هو مجال الاختيار الحر . صحيح ان الانسان يشعر بـ « الغثيان » امام الواقع الذي لا شكل له ، الواقع اللامعقول ، العبثي ، الذي يغمر انطوان روكانتان . ولكن في الصفحات الاخيرة من رواية «الغثيان» موسيقى اسطوانة يشرق منها امل في التحرر . ان اللحن لا يوجد كالاشياء او كالانسان ، وانما هو دقة وضرورة ، افلا يمكن لنا ان نكون على شاكلته : لا ان نوجد ، بل ان « نكون » بان نخلق اشياء تكون فوق الوجود وتفلت من عبثيته وعرضيته : كالكتب واللوحات ؟ اجل ، يكفي تجاوز « الغثيان » وتثبيت العرضية ورؤية ما تقتضيه ، حتى تكتشف « دروب الحرية » . وصحيح اننا حين نقرأ «سن الرشد» و « وقف التنفيذ » نغرق في عالم مختلط ، اعتباطي ، يحمل الاشمئزاز واليأس ، وتنبعث منه رائحة مغثية خانقة . ولئن كنا نجد صفحات كثيرة من الوصف الجنسي والبذاءة ، فلن نعتقد لحظة ان سارتر يقدمها للاثارة والامتاع ، وانما هي في نظره صورة الوجود ، الوجود الاولى المعطى غير المتميز ، والذي لا بد ان يتغير ويتحول ويعوض عنه . والحرية هي العامل الرئيسي الجوهر الذي يصنع الواقع البشري . ان الجوهر يصنع ويكتسب بالعمل ، بالالتزام الحر .

اننا في « دروب الحرية » نجدنا امام ابطال بعيدين عن ان ينظموا اعمالهم وتصرفاتهم وفق خط مصمم مختار، بل هم يتناثرون في اعمال مجانية او تصرفات لا تفسر ، تنكر التصميم والتقرير ، وتناقض البساطة ،اعمال لامعقولة او عابثة او كريهة : كأن يزرع احد الابطال سكينا في يده، او يثمل ، او يسرق مالا من امرأة ، او كتابا من واجهة مكتبة . ولكن يجب ان ندرك أن هذه الاعمال انما هي **توكيدات سيئة** للحرية او للشجاعة . انها حرية سلبية لدى ماتيو . غير اننا نراه في الجزء الثالث وفي الفصول التي نشرت من الجزء الرابع يسير نحو حرية ايجابية اذ يحس انه مسؤول ومتضامن مع جميع الاخرين . لقد

اكتشف ان الحرية لا قيمة لها الا بما تستعمل له ، وانها تتطلب التزاما ومسؤولية ، كما تتطلب عملا دقيقا واضحا في وضع معين ، في حين انها لم تكن تبدو له في « سن الرشد » الا كفرصة للتحرر . انه يسعى الى ادراك الواقع المحسوس حيث يعمل الانسان ، هذا الواقع الذي كان يتحاشاه دائما . لقد اراد ان يؤكد نفسه بعد ان غرق في الوحشة والخجل اثناء الهزيمة ، وادرك ان خاصة الوضع الانساني هي ان يدخل تغييرات وتبديلات على معنى العالم، هي ان يعمل . ومن اعلى البرج، اخذ يطلق رصاص بندقيته ضد مدافع الجيش الالماني ومصفحاته ، وبهذا كان ينكر جميع التحفظات الناعمة في حياته ، ويؤكد ان على من اراد الحياة حقا ان يجازف . وقد كانت حرية مزيفة تلك التي كانت تقوم في « سن الرشد » على تأمل العالم من غير الانخراط فيه . وانما تتخذ الحرية معناها الصحيح لماتيو في العمل .

وهكذا اورست في مسرحية « الذباب » . لقد استطاع ان يقول وهو في وضع مشابه : « لقد قمت « بعملي » يا الكتر ... وسأحمله على كتفي كما يحمل عابر الماء المسافرين ، فاوصله الى الشاطىء الاخر واكون مسؤولا عنه . وستزداد فرحتي ما ازداد ثقلا على الحمل، لان حريتي هي اياه . حتى الامس ، كنت اضرب في الارض على غير هدى ، وكانت الوف الطرق تفر تحت قدمي ، لانها كانت تخص اخرين ... اما اليوم ، فليس هناك الا طريق واحد ، والله يعلم الى اين يفضي : ولكنه « طريقي » (1) .

واذا استعرضنا سائر مؤلفات سارتر ، الدراسية والقصصية والمسرحية ، من « الوجود والعدم » حتى « نقد العقل الديالكتي » مرورا بـ « جلسة سرية » و « موتى بلا قبور » و « البغي الفاضلة » و « الشيطان والرحمن » و « اسرى التونا » وسواها ، ظللنا امام الهم نفسه : هم الانسان الذي يبحث عن حريته عبر التزامه ومسؤوليته.

فاذا كنا قد اقبلنا على قراءة سارتر وترجمته ودراسته ، فلاننا كنا وما نزال نجد في اثاره دروسا نتعلمها في الحرية والعمل والخلق ، ولاننا وجدنا هذه الدروس في قالب فني ممتاز بعيد عن الدعاية والتقريرية والوعظ ، ولان فيها تعبيرا عما نعانيه من الوان القلق والتمزق واليأس احيانا ، ولكن فيها كذلك املا بالنجاة والتحرر بالعمل والاضطلاع بالمسؤولية .

ثم اننا كنا وما نزال نجد تجسيدا لهذه الفلسفة في المواقف الرائعة التي وقفها صاحبها من قضايا الحرية في العالم . اننا لا نستطيع ان ننسى مقالاته وخطبه وبياناته في الدفاع عن حق الشعب الجزائري بالاستقلال، ولا ننسى انه سار في عدة مظاهرات تأييدا لهذا الحق واستنكارا لسياسة الارهاب الفاشية التي كان يتبعها المسؤولون الفرنسيون في الجزائر وفي فرنسا . ونحن نذكر ابدا تحريضه الجنود الفرنسيين على التمرد والعصيان وعدم الذهاب الى الجزائر ، حتى لقد اتهم بخيانة فرنسا. ونذكر بيان المئة والواحد والعشرين مفكرا فرنسيا الذي اشرف على وضعه ، وحرمانه من كل نشاط رسمي، ونسف بيته في باريس ، ومحاولات الاغتيال المتعددة التي تعرض لها من قبل منظمة الجيش السرية ، هو وشريكته سيمون دو بوفوار .

ونحن نذكر موقفه المشرف الصادق من حوادث المجر ، يوم استنكر تدخل القوات السوفياتية ، هو الذي كان وما يزال من اكبر المتعاطفين مع الفكر الماركسي والشيوعي ، وكذلك موقفه من التمييز العنصري في اميركا، وتأييده للثورة الكوبية ضد الاستعمار الاقتصادي الاميركي، كما عبر عن ذلك في « عاصفة على السكر » . وقد صدر له اخيرا كتاب خطير جمع فيه عددا من المقالات والخطب والمقدمات التي كتبها دفاعا عن حقوق الشعوب المضطهدة، وفيها دراسة من اعمق الدراسات التحليلية عن سياسة لومومبا والاستعمار الجديد .

***

ولا شك في ان منح سارتر جائزة نوبل قد جاء متأخرا جدا عن اوانه . ولكننا نعتقد ان سارتر كان سيرفض هذه الجائزة ايضا لو منحها في اوانها ، لان ذلك وثيق الارتباط بمواقفه كلها ، تلك المواقف التي اراد فيها دائما ان يثبت حريته وايمانه بالكرامة وزهده بالاغراء المادي .

و « الاداب » التي بدأت منذ عددها الاول ، الذي صدر قبل اثني عشر عاما ، تتحدث عن سارتر ، ترى من حقها ، ومن واجبها كذلك ، ان تخصه بصفحات اخرى في هذا العدد ، وتبعث اليه بتحية اكبار وتقدير .

سهيل ادريس

(1) لمزيد من التوضيح والاستشهاد ، يراجع كتاب « سارتر والوجودية » لالبيريس .

صدر حديثا

مجموعة الرابطة القلمية

بقلم

جبران خليل جبران ـ ميخائيل نعيمة ـ نسيب عريضة
ايليا ابو ماضي ـ عبد المسيح حداد ـ ندره حداد
وديع باحوط ـ وليم كاتسفيلس

الثمن ٥٠٠ ق. ل.

الناشر : دار صادر ـ دار بيروت